تصدير

بقلم: د . أبو عمران الشيخ

شاركت مع الأستاذ المحترم رابح خدوسي في اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية نحو 10 أشهر واستمعت لتدخلاته المفيدة في الجمعية العامة وقد فصّلها في هذه المذكرات فهو شاهد فعلا وخبير معروف في شؤون التربية والتعليم بحكم ثقافته ووظيفته.

وامتازت هذه المذكرات بالدقة في الملاحظة وفي قوة الأدلة التي أعتمدها الأستاذ بناء على تجربته وعلى تفكيره، فكانت ملاحظاته تجد الإقبال من معظم الحاضرين أثناء المناقشة العامة.

ومن حسن الصدف انه التقى مع بعض الأساتذة البارزين من مختلف أنحاء الوطن في أهم الآراء التي قدمها لأعضاء اللجنة الوطنية بعدما قام بذلك في اللجنة الفرعية وهي من أهم اللجان الفرعية إذ تناولت موضوع الإصلاح البيداغوجي وكان عدد أعضاء هذه اللجنة الفرعية يفوق بكثير عدد الأعضاء في اللجان الأخرى الأمر الذي تفسره أهمية الإصلاحات البيداغوجية إذ تشمل مراحل التربية والتعليم من الابتدائي إلى العالي والمهني.

تعتبر مذكرات الأستاذ رابح خدوسي الأديب الناقد وهو معروف بذلك في اتحاد الكتاب وفي غيره من المؤسسات الثقافية بأنه رصد الموضوعات وحلّلها علميا مستندا على الوثائق التي وُزعت على أعضاء اللجنة الوطنية واللجان الفرعية، فيمكن للقارئ أن يطلع على أهم ما جاء في هذه المناقشات وحسنا فعل عندما أضاف في نهاية المذكرات الملاحق ويستطيع هذا القارئ أن يحكم بنفسه على بعض الآراء الغريبة التي انتقدها الأستاذ بحق.

وأهم النقاط التي تعرض لها الأستاذ تلخص في قضيتين أساسيتين هما :

- مكانة اللغة العربية في المنظومة التربوية، ومكانة التربية الإسلامية.

بعبارة أخرى كانت أهم الهجومات من بعض العناصر ترتكز على هاتين القضيتين ولم تكن التدخلات منها مبنية على الموضوعية والخبرة الفائقة بحيث قدّم بعض الأعضاء انتقادات للغة العربية وللتربية الإسلامية وهم ليسوا خبراء فيها و لا علم لهم تقريبا بالموضوعين.

ومن هنا نستطيع القول بأن هذه العناصر المغرضة انطلقت من منطلقات إيديولوجية وليست بيداغوجية بالمعنى السليم.

ولا يمكن أن نصف الأستاذ بأنه من المتطرفين والمتشددين لأنه يرهن في تدخلاته وفي كتاباته على رجاحة العقل وموضوعية المربى المتمرس حيث عبّر عن رأيه في مجلته المحترمة وهي مجلة (المعلّم) وسبق له أن عبّر عن أرائه أيضا في بعض اليوميات الوطنية وهي مثبتة في المذكرات.

لهذه الأسباب كلّها تستحق هذه المذكرات الاهتمام ويجدر برجال التربية والتعليم أن يطّلعوا عليها لأنها صورة حية عن جوانب كثيرة نوقشت في اللجنة الوطنية، ونشر هذه المذكرات يفيد الرأي العام في بلادنا وغيرها.

شكرا للمؤلف ونرجو أن يفيد رأيه بعض زملائه في نشر مذكراتهم تعميما للفائدة.

الدكتور: أبو عمران الشيخ

أستاذ جامعي

عضو اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية(سابقا)

obeikandl.com

مقدمة:

تعتبر المدرسة القاعدة الأساسية التي تبنى عليها ركائز المجتمع في أي بلد باعتبارها الحضن الذي تترعرع فيه الناشئة والقناة الناقلة للقيم والمنهل الذي تبث فيه المعارف والأفكار لتكوين أجيال المستقبل.

وقد لعبت المدرسة الجزائرية في مسارها التربوي عبر المراحل التاريخية دورا مهما في الحفاظ على المقومات الأساسية للشعب الجزائري وفي تنوير روادها بمنابع المعرفة المتنوعة، وذلك مرورا بالمدارس الحرة كالكتاتيب القرآنية والزوايا ومدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حافظت على الشخصية الجزائرية لغة ودينا ومواطنة خلال فترة الاستدمار الفرنسي الذي أسس بدوره مدارس لأبناء المعمرين ولقلة من الجزائريين معظمهم من أبناء العائلات القريبة من دوائره... وبعد الاستقلال 1962 ورثت الجزائر النظام التعليمي المذكور مع بعض التغيير في المناهج والبرامج، إلى أن جاءت أمرية 16 أفريل 1976 ومعها الاصلاح التربوي حيث ظهر التعليم الأساسي بنصوص ومحتويات وآفاق جديدة تعتمد على جزأرة التعليم وتعريبه ومجانيته وديمقراطيته واجباريته لمدة تسع سنوات دراسية، مع توجهه التكنولوجي.

لكن مدرستنا اليوم تمرّ بمرحلة دقيقة وحساسة في ظل الصراعات الحضارية التي صارت تهدد أركانها تزامنا مع محاولات الإصلاح لتطوير الفكر التربوي والعملية التعليمية اللذان يتطلبان المراجعة والتجديد من حين لآخر لملاحقة الركب الحضاري الذي اتسم بتقدم هائل في مجال التكنولوجيات الحديثة كوسائل الاتصال والشبكات الرقمية ضف إلى ذلك مسألة الحداثة وثورة العولمة.

ونظرا لهذه الأهمية التي تكتسيها التربية كونها تعدّ الوسيلة الأساس لتغيير المحيط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وأمام الهزّات والأزمات التي أصابت الجزائر في عمقها الاجتماعي ضف إلى ذلك واقع المدرسة الجزائرية الموصوفة بالمريضة وبالمنكوبة الذي يحتاج

إلى تشخيص وتحليل وإنصاف وإلى إصلاح جذري يمس جميع جوانبها مثل:البرامج والمناهج والمواقيت والهياكل والنظام المدرسي والتكوين والمؤطرين المسيرين ... الخ، لهذا كان لزاما على المعنيين التفكير في إصلاح تربوي شامل عبر المدرسة والجامعة والتكوين المهني، ولهذا الغرض نصّب رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة لجنة وطنية لإصلاح المنظومة التربوية في ماي 1999 الهدف منها الخروج باقتراحات عملية دقيقة وجريئة للنهوض بالتربية والتعليم ومن خلاله كافة المنظومات الاجتماعية الأخرى في بلادنا.

هل وفقت اللجنة المذكورة في مهمتها؟، وما هو أسلوب عملهاوطريقة معالجتها لملفات حساسة مثل: اللغات والتربية الاسلامية...الخ، وهل كان الاصلاح تقنينا أم ايدلوجيا؟! وما هي الاقتراحات التي وردت في تقرير هذه اللجنة والتي قد تشكل تجاوزا بل خطرا على هوية المجتمع الجزائري وتوجهه الديمقراطي وعلى الوحدة الوطنية؟

تلك أهم محاور هذه المذكرات التي نقدمها للقراء مع دعوتنا للجميع قصد إثراء الموضوع .

المؤلف

مدخل :

إذا كانت وظيفة أي مكلّف تنتهي بنهاية المهمة فإنها عند الكاتب تظل مستمرة لأن من واجبه الذي يفرضه حق الأجيال القادمة أن يدوّن مارصده من وقائع دون أن ينحرف قلمه عن الاستقامة.

وإن كان مبدعا في فن الكتابة فإن الحس الأدبي يصور له الظواهر أحداثا تصلح لمشروع رواية ... وهما سببان كافيان لتحويل المشروع إلى كتاب... وجاءت الرواية في شكل مذكرات ليوميات عشتها مع 158 عضوا من أخواني الجزائريين الذين يمثلون النخبة التي علقت عليها آمال الشعب،

ولأن الكلمة عهد ، فإن شرف الكتابة يلزم المؤلف أن يتحرى الصدق وهذا ما توخيته في هذه الأوراق.

لا أخفى إحساسي بالمرارة وأنا أكتب هذه المذكرات لأنني ما كنت أتمنى أن أكون شاهدا على مواقف كانت لي معها مواقف وأن أفتح أقواسا لا تغلق أمام أسماء زملاء وأصدقاء في اللجنة بعضهم عرفتهم داخلها وآخرون قبلها وتكونت بيننا صداقات حتى مع الذين أخالفهم الرأي والموقف ... إلى درجة النقيض الذي يفسره القلق الغاضب أثناء الصراع اللغوي الحضاري بين جماعة الجاحظ وشكسبير وجماعة ماركس وفولتير.

خارج الاجتماعات الرسمية نعود إلى جزائريتنا فمثلا كان الحديث طريفا ممتعا مع بن رمضان وطيبا حكيما مع خليدة مسعودي وحضاريا مع السيدة دليج جوزات التي فاجأتني في آخر يوم من أيام اللجنة بتقديمها لي بطاقة مرحبة بزيارتي لها بفرنسا ، كما كان الحوار عتابا مرحا مع الأستاذ محفوظ بنون، وأذكر أنه قال لي في آخر جلسة: لقد انتصرتم فقلت له الديمقراطية انتصرت...

لماذا هذه اليوميات

من أهم الأسباب التي كانت وراء تسجيل هذه اليوميات نذكر ما يلي:

- إن التربية والتعليم مجال حيوي بواسطته ترقى الأمم وتتطور وتحافظ على كيانها وبواسطته أيضا قد تشهد التخلف والتقهقر والتبعية للأخر.

- إن التربية وسيلة لتغيير المحيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي ونحن في خضم عولمة تهدد كيان الدول التي لا تحصّن نفسها بمناعة قوية.

- المساهمة في تدوين مشاهد من المسار الحضاري للشعب الجزائري في مرحلة حساسة وخطيرة تعيشها الجزائر منذ العشرية الأخيرة للقرن العشرين.

- حتى لا ننسى ولانسيء للذاكرة وللتاريخ لأننا شعب ذو ثقافة شفوية ولاذاكرة لشعب لم يدّون أحداث تاريخه، والشعب الذي يفقد ذاكرتة لامستقبل له وحتى لا تستمر المقولة في شعب الجزائر بأنه يصنع التاريخ ولا يكتبه.

- ليطّلع الرأي العام الوطني والعالمي على أساليب العمل للإصلاح التربوي في الجزائر.

- لأنه من حق أطفالنا معرفة طبيعة الأفكار والتيارات التي ساهمت في إعداد المخططات التربوية التي تكونوا في ظلالها منذ الاستقلال حتى نهاية دروسهم.

- لأنه ومن واجب الكاتب التبليغ للأجيال القادمة وإن كان هذا الواجب حقا أيضا فإنه لا يعفيه من ذكر الحقيقة كما أن قلمه بمثابة ريشة فنان يختلف عن قلم المؤرخ والسياسي.

- حتى لا تتكرر بعض السلوكات غير الحضارية في لجان وطنيةأخرى.